@ 332 @ الحرام كمن آمن با والـيوم الآخر وجاهد في سبيل ا ، لا يستوون عند ا) ^ . فالجهاد والإيمان با ، أفضل من سقاية الحاج ، وعمارة المسجد الحرام ، بدرجات كثيرة ، لأن الإيمان أصل الدين ، وبه تقبل الأعمال ، وتزكو الخصال . وأما الجهاد في سبيل ا فهو ذروة سنام الدين ، به يحفظ الدين الإسلامي ، ويتسع ، وينصر الحق ، ويخذل الباطل . وأما عمارة المسجد الحرام ، وسقاية الحاج ، فهي ، وإن كانت أعمالا صالحة ، فهي متوقفة على الإيمان ، وليس فيها من المصالح ، وما في الإيمان والجهاد ، فلذلك قال : ^ (لا يستوون عند ا ، وا لا يهدي القوم الظالمين) ^ أي : الذين وصفهم الظلم ، الذين لا يصلحون لقبول شيء من الخير ، بل لا يليق بهم إلا الشر . ثم صرح بالفضل فقال : ^ (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل ا بأموالهم) ^ بالنفقة في الجهاد ، وتجهيز الغزاة ^ (وأنفسهم) ^ بالخروج بالنفس ^ (أعظم درجة عند ا وأولئك هم الفائزون) ^ أي : لا يفوز بالمطلوب ، ولا ينجو من المرهوب ، إلا من اتصف بصفاتهم ، وتخلق بأخلاقهم . ^ (يبشرهم ربهم) ^ رحمة منه ، وكرما ، وبرا بهم ، واعتناء ومحبة لهم ، ^ (برحمة منه) ^ أزال بها عنهم الشرور ، وأوصل إليهم بها كل خير . ^ (ورضوان) ^ منه تعالى عليهم ، الذي هو أكبر نعيم الجنة وأجله ، فيحل عليهم رضوانه ، فلا يسخط عليهم أبدا . ^ (وجنات لهم فيها نعيم مقيم) ^ من كل ما تشتهيه الأنفس ، وتلذ الأعين ، مما لا يعلم وصفه ومقداره ، إلا ا تعالى ، الذي منه أن ا أعد للمجاهدين في سبيله ، مئة درجة ، ما بين كل درجتين ، كما بين السماء والأرض ، ولو اجتمع الخلق في درجة واحدة منها لوسعتهم . ^ (خالدين فيها أبدا) ^ لا ينتقلون عنها ، ولا يبغون عنها حولا ، ^ (إن ا عنده أجر عظيم) ^ لا تستغرب كثرته على فضل ا ، ولا يتعجب من عظمه وحسنه ، على من يقول للشيء كن فيكون . ^ (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آبآءكم وإخوانكم أولياآء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأول ئك هم الظالمون * قل إن كان آباؤكم وأبنآؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونهآ أحب إليكم من ا ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي ا بأمره وا لا يهدي القوم الفاسقين) ^ يقول تعالى : ^ (يا أيها الذين آمنوا) ^ اعملوا بمقتضى الإيمان ، بأن توالوا من قام به ، وتعادوا من لم يقم به . و ^ (لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم) ^ الذين هم أقرب الناس إليكم ، وغيرهم من باب أولى وأحرى ، فلا تتخذوهم ^ (أولياء إن استحبوا) ^ أي : اختاروا على وجه الرضا والمحبة ^ (الكفر على الإيمان) ^ . ^ (ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون) ^ لأنهم

تجرأوا على معاصي الله ، واتخذوا أعداء الله أولياء ، وأصل الولاية : المحبة والنصرة . وذلك أن اتخاذهم أولياء ، موجب لتقديم طاعتهم على طاعة الله ، ومحبتهم على محبة الله ورسوله . ولهذا ذكر السبب الموجب لذلك ، هو أن محبة الله ورسوله ، يتعين تقديمها على محبة كل شيء ، وجعل جميع الأشياء تابعة لهما فقال : ^ (قل إن كان آباؤكم) ^ ومثلهم الأمهات ^ (وأبناؤكم وإخوانكم) ^ في النسب والعشيرة ^ (وأزواجكم وعشيرتكم) ^ أي : قراباتكم عموما ^ (وأموال اقترفتموها) ^ أي : اكتسبتموها ، وتعبتم في تحصيلها . خصها بالذكر ، لأنها أرغب عند أهلها ، وصاحبها أشد حرصا عليها ، ممن تأتيه الأموال من غير تعب ولا كد . ^ (وتجارة تخشون كسادها) ^ أي : رخصها ونقصها ، وهذا شامل لجميع أنواع التجارات والمكاسب من عروض التجارات ، من الأثمان ، والأواني ، والأسلحة ، والأمتعة ، والحبوب ، والحروث ، والأنعام ، وغير ذلك . ^ (ومساكن ترضونها) ^ من حسنها وزخرفتها ، وموافقتها لأهوائكم ، فإن كانت هذه الأشياء ^ (أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله) ^ فأنتم فسقة ظلمة . ^ (فتربصوا) ^ أي : انتظروا ما يحل بكم من العقاب ^ (حتى يأتي الله بأمره) ^ الذي لا مرد له . ^ (والله لا يهدي القوم الفاسقين) ^ أي : الخارجين عن طاعة الله ، المقدمين على محبة الله ، شيئا من المذكورات . وهذه الآية الكريمة ، أعظم دليل على وجوب محبة الله ورسوله ، وعلى تقديمها على محبة كل شيء ، وعلى الوعيد الشديد والمقت الأكيد ، على من كان شيء من المذكورات أحب إليه من الله ورسوله ، وجهاد في سبيله . وعلامة ذلك أنه إذا عرض عليه أمران ، أحدهما يحبه الله ورسوله ، وليس لنفسه فيها هوى ، والآخر تحبه نفسه وتشتهيه ، ولكنه يفوت عليه محبوبا لله ورسوله ، أو ينقصه ، فإنه إن قدم ما تهواه نفسه ، على ما يحبه الله ، دل على أنه ظالم ، تارك لما يجب عليه . ^ (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين * ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزآء الكافرين * ثم يتوب الله من بعد ذلك